

بعض مظاهر الحياة اليومية في بلاد المغرب القديم

من خلال نصوص هيرودوت.

أ/ بوجمعة فريدة.

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله-

الجزائر

boudjifari@yahoo.fr

الملخص

إن تاريخ بلاد المغرب القديم تاريخ حافل بأحداث كثيرة، تحدث عنها العديد من المؤرخين والأثريين. وأولى هذه الكتابات تعود للكتاب الإغريق والرومان فقد كانوا السابقين في تدوين تاريخ هذه المنطقة، لكن يبقى هيرودوت أول من خص هذه الرقعة الجغرافية بالدراسة في القرن الخامس قبل الميلاد في الجزء الرابع من كتابه التواريخ، والذي يعتبر من المصادر الأساسي في دراسة تاريخ بلاد المغرب القديم خلال الفترة القديمة، ومن الأمور التي ذكرها في فقرات هذا الجزء، ما تعلق بالحياة اليومية، ونمط عيش هؤلاء السكان، أين أشار إلى العادات التي كان الليبيون ينفردون بها، وتلك التي كانت تتشابه في بعضها مع عادات جيرانهم المصريين، فهيرودوت تحدث عن هذه المظاهر بعد زيارته للمستوطنة الإغريقية قورينة الواقعة على أرض ليبيا، أين أخذ هذه الأخبار بعد احتكاكه بالليبيين الذين كانوا يسكنون في هذه المدينة.

الكلمات المفتاحية: كلمات مفتاحية: المؤرخ هيرودوت، ليبيا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، الليبيون القدماء، المغرب القديم، العادات والتقاليد.

ABSTRACT :

The history of the ancient Maghreb is full of many events, which many historians and archaeologists have spoken about. The first of these writings belong to the Greeks and Romans, as they were the pioneers in codifying the history of this region, but Herodotus remains the first to specialize this geographical area for study in the fifth century B.C. Ancient period, Among the things he mentioned in the paragraphs of this section, what was related to daily life and the way of life of these residents, where did he refer to the customs that the Libyans used to be unique to, and those that were similar in some to the customs of their Egyptian neighbors, so Herodotus spoke about these aspects after his visit to the Greek settlement of Qurina The incident on the land of Libya, where did he get this news after coming into contact with the Libyans who lived in this city.

1. مقدمة:

إن أولى الإشارات إلى بلاد المغرب القديم المعروفة باسم "ليبيا" في المصادر الكلاسيكية القديمة تعود إلى الكتابات الإغريقية، حيث ذكر لفظ ليبيا والليبيين من طرف العديد من المؤرخين الإغريق أمثال هوميروس الذي ذكرهم في الأوديسة، إضافة إلى هيرودوت، وسترابون، وديودور الصقلي، وظل استخدام لفظ ليبيا أو الليبيين في المصادر الإغريقية إلى أواخر العصر القديم، ومن أهم المؤرخين الذين

تحدثوا عن الليبيين نذكر هيرودوت الذي تناول في الجزء الرابع من كتابه التواريخ نمط حياة الليبيين القدامى.

فماهي المعلومات التي تضمنها هذا المصدر عن الليبيين القدامى؟ وفيما تتمثل مظاهر حياتهم اليومية؟

2. تعريف هيرودوت:

لقب هيرودوت من طرف الخطيب الروماني الشهير كيكرو (Cicero) بأبي التاريخ¹. فهو من أشهر المؤرخين اليونانيين، ولد بمدينة هالكرناسوس، بأسيا الصغرى سنة (484 ق.م)، من أسرة مرموقة، نُفي هو في الثانية والثلاثين من عمره خلال حكم الطاغية لاغدامس (Lygdamis) الى جزيرة ساموس (Samos)، بعدها زار مختلف مناطق شرق المتوسط منها مقدونيا تراقيا، السكيث، صور، مصر، فلسطين، بابل وغيرها، ودامت رحلته سبعة عشر عاما، إلى أن استقر بها الحال بأثينا سنة (447 ق.م)، ثم استقر في مدينة ثوري جنوب إيطاليا حوالي سنة (444 ق م)، وفيها أتم كتابه التواريخ، حيث دَوّن فيه مجموعة من المعارف حول تاريخ وعادات مدن البحر المتوسط، وافته المنية سنة (426 أو 425 ق.م.)، وقد قام هيرودوت خلال رحلته برصد كل ما تعلق بمواقع المدن والبلدان، وعادات وتقاليد الشعوب، حيث ساهم في رفع الستار عن العديد من الحقائق التاريخية والإثنوغرافية حول تاريخ تلك المدن. ورغم أن الغاية الأولى لهيرودوت في تدوين كتابه التواريخ، هو إبراز إنجازات الإغريق بالدرجة الأولى والتأريخ لحروبهم ضد الفرس، والتي عُرفت بالحروب الميدية التي بلغت ذروتها في سنة (490 إلى 479 ق.م)²، إلا أنه استرسل في الحديث عن حياة الشعوب التي كانت على علاقة مع الإغريق، سواء في آسيا، أوروبا وإفريقيا التي أشار إليه باسم ليبيا.

3. كتابه:

كان حديث هيرودوت عن ليبيا في الجزء الرابع من كتابه³، حيث تمكن من جمع معلومات عنها بعدما زار المستوطنة الإغريقية قورينة (Cyrène)⁴، ويرجح أن تكون زيارته لهذه المدينة قصيرة، من سنة (440 ق. م)⁵، فهو لم يكتف بزيارة مدينة قورينة فقط، وإنما عرج كذلك إلى مدينة برقة⁶.

رغم قدم هذا المصدر، والجدل الذي أثاره الباحثون حول المعلومات الواردة فيه، بين مشكك ومدافع، إلا أنه لا يزال من بين المصادر التي لا يستغنى عنها في دراسة تاريخ الليبيين القدامى، كونه الوحيد الذي أشار إلى تاريخ المنطقة، في تلك الفترة بنوع من التفصيل، إذ لا يسعنا القول بخصوص ما ذكره عنهم والوصف الذي قدمه حول ليبيا من معلومات دقيقة حول نمط حياة شعبيها، وعاداتهم وتقاليدهم، والتي لا تزال بعضها قائمة إلى يومنا هذا، أنها لن تنقص من شأن هذا المؤرخ، ولا من قيمة المعلومات التي وردت في كتابه، إذ كان له الفضل في تسليط الضوء على ماضي هذه الرقعة الجغرافية التي لم تحض بقدر كاف من الدراسة، إضافة إلى الندرة الكبيرة في المصادر الكتابية المتناولة لتاريخ شعبيها الموعول في القدم، خصوصا تلك التي كشفت عنها الأبحاث الأثرية، بل يُعتبر مصدرا فريدا من نوعه، حيث وردت فيه تفاصيل دقيقة عن جوانب عديدة خاصة بتاريخ المنطقة، ولم يقتصر حديث هيرودوت عن الليبيين في الكتاب الرابع، بل كذلك خصهم بالذكر في كتابه الثاني، في الفقرات 31، 32، 33، 50، 54، 55. وفي الكتاب الرابع، استرسل في الحديث عن الليبيين في الفقرتين 42، 43، ومن الفقرة 168 إلى 199⁷. والجدير بالذكر أنه صرح باعتماد في جمع معلوماته عن القورنيين والليبيين أنفسهم، الذين كانوا ضمن التركيبة الاجتماعية لهذه المدينة، إذ تزوج القورنيين بالليبيات، كما احتكوا بقبائل المناطق المجاورة لقورينة، كالإسبست الذين تأثروا بهم. والمتصفح لكتابه يلاحظ تأكيده على ذلك من خلال قوله مثلا: "أنا أنقل القصة كما رواها الليبيون"، أو «إني أردد ما قاله الليبيون»، أنا لا أقول إلا ما يقوله الليبيون"⁸.

4. ليبيا القديمة وشعوبها:

حسب هيرودوت فان ليبيا تمثل احدى قارات العالم الثالثة، واعتقد أنها محاطة بالمياه من ثلاث جهات، يفصلها عن آسيا نهر النيل، وتمتد على طول الساحل من حدود مصر غربا إلى رأس سوليس، الذي

يسجل نهاية القارة الليبية. ويقع هذا الرأس الى ما وراء أعمدة هرقل، كما حدد ثلاث مناطق متعاقبة من الشمال نحو الجنوب في ليبيا⁹ وهي:

- ❖ الأراضي الواقعة على طول الساحل من مصر إلى رأس سولويس، ما عدا تلك التي استوطنها الفينيقيون والإغريق. وقسمها إلى منطقتين يفصل بينهما نهر تريطون (Triton)¹⁰، منطقة الليبيين الشرقيين البدو الرحل، قرب خليج قابس ومنطقة الليبيين الغربيين المزارعين، أو المستقرين يشغلون المناطق الواقعة غرب هذا النهر.
- ❖ منطقة الحيوانات المفترسة الواقعة بين المنطقة الساحلية والصحراء.
- ❖ الصحراء وهي منطقة جافة جدا، تمتد من طيبة إلى ما وراء أعمدة هرقل. وأشار إلى أن المنطقة الساحلية والواحات، هي فقط الأهلة بالسكان. وفي حديثه كذلك ذكر أن سكان ليبيا الأصليين هم الليبيين في الشمال، والإثيوبيين في الجنوب، والليبيون يعيشون في قبائل تتوزع على طول الأراضي الواقعة غرب مصر¹¹. وعرض هذه القبائل على النحو التالي:

-الأدرماشيد(Adyrmachides): أولى القبائل الليبية التي سكنت قرب الحدود المصرية، تمت أراضيهم إلى ميناء بليينوس (سيدي البراني) وتعد من أقرب القبائل الى مصر.

-الجليجام(Giligames): يتمركزون غرب الادرماشيد، يقطنون في المنطقة المحصورة بين ميناء بليينوس إلى الغرب حتى جزيرة أفروديزيا (Aphrodisias) (جزيرة كرسة غرب درنة) .

-المرمرد(Marmarides): قبيلة كثير العدد تمتد أراضيهم غرب مصر من برقة إلى خليج السرت الكبرى، وتمتد جنوبا الى الامونيين.

-الإسبيست(Asbystes): شكلوا قبيلة كبيرة وسكنوا داخل الأراضي المحاذية لمدينة قورينة بعيدا عن الساحل، تأثروا بعادات القورينيين وكانت تربطهم علاقات ودية في بعض الأحيان.

-الأوشيس(Auschises): يسكنون إلى الداخل وراء برقة، وصولا إلى إسبيريد (بنغازي حاليا) ويطلون على البحر.

-الباكال(Bacales): وهم شعب كثير العدد، يسكنون في أراضي الاوشيس، ويمتد إقليمهم حتى البحر.

-الناسامون(Nasamons): من أكثر القبائل الليبية عددا، وهم بدو رحل شكلوا قبيلة كبيرة بجوار الأوشيس وعلى طول المنطقة الممتدة بين خليج السرت جنوبا نحوا واحة أوجيلة التي أصبحت أحد مراكزهم الهامة.

-البسيل(Psylles): أراضيهم محاذية للناسامون، تقع داخل خليج السرت وهم مزارعون. كانت خاضعة للناسمون وانقرضت هذه القبيلة بسبب الجفاف الذي اجتاحتها المنطقة بفعل الرياح الجنوبية التي جففت صحاريهم وعندما زحفوا في الصحراء الرملية هبت عليهم رياح فمطرتهم في الرمال بعدها استوالى الناسمون على أراضيهم.

-المكاي(Makiyd): يقطنون إلى الداخل عن موطن الناسامون.

-اللتوفاج(Lolophages) : ذكروا اول مرة في الأوديسة واشتهروا بأكل فاكهة اللوتس اذ يعد غذائهم الوحيد ولهذا أطلقت عليهم هذه التسمية.

-الجندان(Gindanes): أراضيهم تقع بعد المكاي، يعتقد انهم من الليبيين الشرقيين.

-الماشيلي(Machlyes): يقطنون الساحل الى نهر تريطون غرب اللوتوفاج.

-الأوسس(Auses): يفصلهم عن الماشيلي نهر التريطون أقصى الليبيين البدو الرعاة غربا في السرت الصغرى.

-الماكسس(Maces): مستقرون ومزارعون تركزوا غرب نهر تريطون، ويرجح أنهم المشواش الذين ذكروا في النقوش الفرعونية، تركزوا بين خليج السرت ولبدة.

- الزويس(Zauèces) : يسكنون بمحاذات الماكسس.

الجزرانت (Gyzantes): من القبائل الليبية الغربية القاطنة بعد الزوس.

-الغرامونت(Garamantes): تركزوا في المنطقة الممتدة ما بين نفوسة، وجهة الفزان الحالية إلى التاسيلي. وهم على ما يبدو قد استعملوا العربات، عاصمتهم جرمة.

القمازنت (Gamphasantes): شعب كثير العدد سكنوا منطقة الوحوش المفترسة جنوب الناسامون

الأمونيون (Ammonians): سكنوا الإقليم الصحراوي بواحة سيوة.

الأطلسيين أو الأطلنطيين (Atlantes): يسكنون في جبل الأطلس الذي يعتبرونه عمود السماء، حسب وصف هيرودوت فإن شكله دقيق ودائري من كل الجهات وهو شديد الارتفاع، مما يصعب رؤية قممه لأن السحب تغطيها في الصيف والشتاء¹². (حول موقع هذه القبائل انظر الخريطة، الشكل رقم1).

5. أقوال هيرودوت حول الليبيين في المجال السياسي والعسكري:

1.5 نظام الحكم:

يظهر من خلال حديث هيرودوت عن القبائل الليبية أن حياتها اليومية تميزت بالبساطة والبداءة، تشبه في بعض عاداتها جيرانها المصريين، كقبيلتي الأدرمايشد والجليجام الساكنتين بمحاذاتهم¹³. ولكن هذا لم يمنع من أن تكون لهم عادات خاصة بهم. ويتضح مما ذكره هيرودوت أن الليبيين كانوا يتبعون النظام القبلي، شأنهم في ذلك شأن جميع القبائل البدائية، لكن هذا لم يمنع معرفتهم للنظام الملكي، فقبيلة الأدرمايشد كانت خاضعة لسلطة الملك، وكانت له حقوق وامتيازات في القبيلة، منها شرف أن تقدم له الفتيات العذارى إذ يحق له أن يأخذ طوعا أي فتاة أعجب بها¹⁴، وبذكرة لوجود رجال أشداء ربما كان ذلك كإشارة يقصد بها الطبقة الارستقراطية¹⁵. وربما ما يؤكد هذا الأمر مشاهد الليبيين في النقوش المصرية تبين أن رؤساء القبائل الليبية كانوا من طبقتين، رؤساء كبار وآخرون في مرتبة أدنى، وكان رؤساء الطبقة الأولى يتحلون بريشتين بينما يتحلى رؤساء الطبقة الثانية بريشة واحدة، ومنهم من كانوا قادة ومستشارين بين الاتحاد القبلي أثناء الحروب¹⁶.

كما أشار هيرودوت إلى أن الليبيين ساد بينهم مبدأ التشاور في الأمور الهامة، كإعلان قرار الحرب، ففي قبيلة الأوسس كان الرجال يعقدون مجلسا دوريا¹⁷، وربما كان هذا بمثابة مجلس قضاء تسوى فيه أمور القبيلة. إضافة إلى وجود نوع من التنظيم في قبيلة الناسامون، كان أساسه العدل، تتم فيه تسوية وتسيير بعض الأمور، ويكون يقسم يؤديه الرجال بطريقة خاصة، تتم بوضع أيديهم على قبور موتاهم المعروفين بالعدل والصلاح، كما كانوا يعقدون موثيقهم بتبادل الشرب من أيدي بعضهم البعض، وإن لم يجدوا شرابا فإنهم يجمعون حفنة من تراب الأرض ويلعقونه¹⁸.

2.5. العربات:

استعمال العربات عند الليبيين كان متداولاً بشكل ملحوظ، فقد كان الإسبست من بين القبائل الأكثر مهارة في قيادة العربات بأربعة احصنة، وكذلك استخدمها الغرامونت لمطاردة الاثيوبيين، وعند الزويس كانت النساء ايضا يقدن العربات حتى أنهن كُنَّ يذهبن مع المحاربين، وهن يقدن العربات. وهيرودوت أشار بصريح العبارة إلى أن الإغريق قد تعلموا قيادة العربة بأربعة أحصنة من الليبيين¹⁹.

3.5. الأسلحة:

لم تكن الحروب نادرة بين القبائل الليبية، فالمصادر الكلاسيكية تؤكد ان الليبيين تميزوا بالشجاعة في الحروب. لذلك كانت الشعوب المجاورة لهم تحاول الاستفادة من قوتهم وشجاعتهم في مختلف الحروب التي عرفتھا الحضارات القديمة ولذلك فقد شاركوا مع المصريين ومع الفارسيين واليونانيين في مختلف الحروب التي عرفتھا مناطق البحر المتوسط²⁰. وأكد هيرودوت أنهم كانوا يرفضون التواجد الأجنبي، فحسبما جاء في أسطورة ذكرها أن السفينة أركوا الخاصة بأبطال أسطوريين إغريق بقيادة جاسون، وضعوا فيها قرابين من بينها منضدة ثلاثية، وتوجهوا إلى دلفي لكن رياح جرفتھم إلى بحيرة تريطون وأغرقتها هناك، عندها ظهر الإله تريطون وأنقذ جاسون من الغرق، وكان المقابل هو تقديم المنضدة الثلاثية، والتي تم وضعها في معبد خاص بالإله تريطون. ثم أخبر من معه أن النبوءة تقتضي أنه من يمكن الإغريق من استعادة هذه المنضدة فهذا يعني أن مئة مدينة ستبنى على ضفاف بحيرة تريطون. لكنه وبعد سماع الليبيين بهذه النبوءة قاموا بإخفاء هذه المنضدة كي لا يجدها الإغريق، وتحقق النبوءة²¹.

كما ذكر حدوث توتر وعداء بين الليبيين والاعريق خلال حكم باتوس الثاني الذي حارب الليبيين سنة (570 ق م)، وفي عهد ارسيسلاس الثاني (Arcésilas)²². واستخدم الليبيون في حروبهم أسلحة متنوعة فالغرامونت كانوا يستخدمون العربات لمطاردة الاثيوبيين²³، وما يؤكد ذلك هو تجسيد هذا المشهد في الرسوم الصخرية²⁴ (انظر الشكل رقم 2)، واستخدم المكاي دروع مصنوعة من جلد النعام، لحماية أجسادهم من الضربات²⁵.

علاوة عن ذلك فقد ورد في المصادر الفرعونية أن الليبيين الشرقيين كانوا يستعملون أسلحة معدنية نحاسية وبرونزية ودروعاً متنوعة من جلود الحيوانات، هذا علاوة على أن ملابس الزعماء مصنوعة أساساً من الجلد كما ظهر في الرسوم الموجودة بمدافن الفراعنة، وخاصة الفرعون سيتي الأول²⁶.

6. أقوال هيرودوت حول الليبيين في المجال في المجال الاقتصادي:

1.6. الزراعة:

لقد مارست القبائل الليبية النشاط الزراعي، خاصة المستقرة منها في الجهة الغربية، ومن القبائل التي ذكرها هيرودوت، قبيلة الماكسس وثلاث قبائل أخرى في غرب نهر تريطون، فقد أشاد بخصوبة تربة الأراضي الليبية، خاصة تلك الواقعة بمنطقة كينيبس (cinyps)²⁷ ذات التربة السوداء والتي تُعد من أخصب الأراضي المنتجة للقمح في ليبيا، والتي كانت ترويهالينابيع ذات المياه الوفيرة، فقد كان محصولها يضاهي محصول أرض بابل، إذ تنتج ثلاثمائة أضعاف المنتج العادي في السنة حسبما ذكر هيرودوت²⁸. أما الزراعة عند الغرامونت فكانت صعبة نوعاً ما نظراً لملوحة التربة عندهم، لذا كانوا ينشرون طبقة من التراب عليها ثم يقومون بزراعتها. أما الأمونيين الذين يقطنون بواحة سيوة فكانت بسايتنهم توري بمياه نبع الشمس عندما تبرد. ولم تقتصر زراعة الليبيين على القمح والخضر فقط، وإنما عرفوا كذلك غرس اشجار النخيل والتي اشتهرت بثمرها الكثيرة، إضافة الى اشجار الزيتون والعنب في التي اشتهرت بها منطقة قبيلة الجيزانت²⁹، ولم يكن هيرودوت الوحيد الذي أشار إلى هذا الأمر وإنما كل من هيكتايوس وسيلاكس ذكروا أن الليبيين كانوا ينتجون من شجر الزيتون البري زيتاً كثيراً، كما عرفوا

القمح والشعير، وكان هذا المنتوج وفيرا ايضا في جزيرة جربة التي تميزت بأراضيها الخصبة³⁰. وتؤكد الأبحاث الأثرية أنه مع دخول انسان بلاد المغرب في مرحلة النيوليتك، ظهر هناك تغيرا واضح في معيشة السكان في المجال التقني وأساليب استحصال الغذاء، هذه الأساليب تعد ثورات حقيقية في مجال صناعة الأدوات، ووسائل الاستعمال اليومي، ومنها الفخار، والعلاقة التي تربطه بالزراعة³¹.

2.6. تربية المواشي:

كانت تربية المواشي من أهم الاعمال التي عكف الليبيون على ممارستها، وقد ذكر هيرودوت مجموعة من الحيوانات التي كان يربونها، سواء الرحل أو المستقرون منهم، فالناسامون كانوا يمتلكون قطعانا من الماشية، منها الكباش، الماعز، الأبقار، الأحصنة، والثيران ذات القرون المعقوفة إلى الأمام³². كما أشار هوميروس من جهته في الأوديسة إلى إهتمام الليبيين بتربية الأغنام والأبقار³³.

3.6. الغذاء:

احصى هيرودوت أنواع عديدة من الأغذية التي كان يتناولها الليبيون سواء الشرقيين منهم أو الغربيين، وأشار إلى أن غذاء البدو الرحل كان أساسه الحبوب، واللحوم كالناسامون الذين يأكلون اللحم ويشربون الحليب، وهذا ربما في الشتاء كونهم كانوا يتركون قطعانهم على سواحل البحر ويصعدون إلى بلاد أوجيلة لجني التمر في فصل الصيف، كما أنهم إصطادوا الجراد وقاموا بتجفيفه، وتعريضه للشمس ليشربوه مع الحليب³⁴، أما قبائل الجيزانت فكانوا يأكلون القرده المتواجدة بكثرة في جبالهم كما أشار هيرودوت إلى أن انهم كانوا الصناع الأكثر مهارة في إنتاج العسل، وأرجع سبب ذلك الى النحل الذي كان عندهم، حيث كان ينتج عسلا كثيرا³⁵، أما اللوتوفاج فقد إقتصر غذائهم على فاكهة اللوتس، وهي فاكهة غليظة حلوة المذاق كالعسل، يشبه مذاقها التمر. وكانوا يصنعون بفاكهة اللوتس الخمر الذي يحفظ ليومين أو ثلاثة أيام فقط³⁶، عكس الماشيلي الذين كانوا يستعملون اللوتس في نطاق أضيق مقارنة باللوتوفاج³⁷، في حين إقتات الغرامونت على الثعابين والسحالي³⁸. وتحدث في موضع آخر على أن هناك من الليبيين من امتنعوا عن أكل لحم البقرة والخنزير، وذلك لتأثرهم بعبادات جيرانهم المصريين وتقديسا للإلهة ايزيس³⁹. وأن الأتلسيين لا يأكلون أي شيء به حياة⁴⁰.

بالرغم أن هيرودوت لم يقم بترتيب معلوماته بطريقة آلية تسمح لنا بدراسة الممارسات الغذائية عند الليبيين بشكل دقيق، إضافة إلى غياب مصادر أخرى كتابية تساعد على التأكد من صحة ما جاء به، إلا أنه يتضح وجود تنوع غذائي عند الليبيين، وهذا منذ العصور الحجرية حسب الدلائل الأثرية، التي تشهد عليها العظام المتبقية في المواقع. فالإنسان الابيري -مغربي اقتناص الضبي والغزال والبقر البري والخنزير الوحشي، وكثيرا من القواضم والطيور. وكثيرا ما كانوا يكملون واجباتهم من منتوجات الصيد البحري او بالحلزون البري⁴¹. والأغنام والماعز والأرانب والحيوانات المفترسة، التي إصطادها الرجال بواسطة الكمائن. أما النساء والأطفال فكانوا يجمعون الحلزون والرخويات، وقد إستهلك القفصيون أعدادا هائلة منها. والدليل على ذلك الكميات الكبيرة التي عثر عليه في المغارات مثل: مغارة بجانب خليج بجاية، التي وصفها ارنبورغ . (C.Arambourg) سنة 1934م. على انها تحتوي على 18 نوع من الرخويات البحرية، و4 أنواع أخرى برية، كما عثر أيضا على 16 نوع من الثدييات، وعظام الأسماك التي وجدت بشكل كبير في مغارة العين أكمول (Alain à Eckmül) بوهران، إضافة إلى الظباء والغزلان والزواحف⁴². ولا يستبعد أن تكون لليبيين أغذية أخرى، خاصة النباتات البرية كالعنبيات وكذلك الجذور ونباتات أخرى مغذية⁴³ والتي لا تزال أساس التغذية عند سكان شمال افريقيا، خاصة منطقة القبائل والأوراس إلى يومنا هذا.

4.6. التجارة:

لم يشر هيرودوت بصريح العبارة على وجود علاقات تجارية بين قبائل الليبية، لكنه أشار إلى وجود طرق تربط بين بعض القبائل تصل مدتها 30 يوما بين اللوتوفاج والغرامونت⁴⁴، وكذلك أشار إلى أن

ذهاب الناسامون على أوجيلة كان بشكل منتظم لجني التمور، وربما القصد منه كذلك التبادلات التجارية⁴⁵. والتبادل تجاري الوجيد الذي تحدث عنه كان بين القاطنين في السواحل، إذ أشار إلى أن القرطاجيين كانوا يضعون بضاعتهم على شاطئ البحر ويعودون إلى سفنهم، ويشعلون نار ذات دخان ليعلموا السكان الذين يقتربون من البضاعة إن أعجبتهم يضعون قيمتها ذهباً، ثم يعود القرطاجيين، وإن رأوا أن قيمة الذهب تناسب قيمة البضاعة يأخذونه ويرحلون، أما إن كان العكس فيعودون إلى سفنهم وينتظرون حتى يعود السكان ويضيفون قيمة الذهب. وتتم عملية المقايضة هذه بنزاهة تامة أطلق على هذه التجارة بالمقايضة الصامتة⁴⁶. وفيما يخص إمتلاك الليبيين للذهب حسبما ذكره هيرودوت فإن فتيات الجزائر كن يستخرجن الذهب من طين بحيرة تدعى كيرونيس أو كركينا (Cyraunis)، بواسطة ريش الطيور المدهون بالقار، وربما كان هذا الذهب هو الذي كانت تتم به مقايضة السلع القرطاجية⁴⁷.

7. أقوال هيرودوت حول الليبيين في المجال حول الحياة الاجتماعية:

1.7. السكن:

مما لا شك أن الليبيون سكنوا الكهوف والمغارات، وذلك استناداً إلى بقايا المأكولات التي ذكرناها آنفاً، لكنهم سرعان ما أصبح لديهم مساكن خاصة، إذ كان لليبيين الرحل بيوت محمولة مصنوعة من نبات البرواق المظفر بالنير الأسل، وهذا لتسهيل حملهما عند التنقل، ولكيلا يجدوا أنفسهم في العراء عرضاً للأخطار والحيوانات المفترسة. كما عرفوا كذلك الخيام والتي بنوها من الشعر والجلد كونها الأخف والأكثر ملائمة للترحال. إضافة إلى الخيام سكن الليبيون الأكواخ المصنوعة من سيقان النباتات والنير الأسل كذلك⁴⁸. وحسب بلين الكبير فإن هذه البيوت كانت تصنع بطريقة تمكنهم من نقلها فوق العربات⁴⁹. أما الليبيون المستقرون فسكنوا الأكواخ المصنوعة من الأغصان، المطلية بالطين، وسقفها مصنوع من الأغصان الممزوجة بالطين كذلك. وفي المناطق الصحراوية حيث لا يسقط المطر، فيبيوت الليبيين كانت تبنى بقطع من صخور الملح لان المنطقة لا ينزل فيها المطر، وكان الملح المستخرج في هذه المنطقة إما أبيض أو أحمر⁵⁰.

2.7. الزواج:

ما قاله هيرودوت حول هذا الموضوع هو أن الفتيات اللاتي يتأهبن للزواج كن يعرضن على الملك أولاً، وإن أعجبه أحداهن أخذها. وعند الناسامون كانت عادة الزواج للمرة الأولى تقتضي بتقديم العروس في الليلة الأولى ليضاجعها المدعويين، ويقدمون لها الهدايا وحسب هيرودوت فالليبيون عرفوا تعدد الزوجات، فالمرأة عندهم كانت مشاعة بين الرجال. وهناك من العادات حول معاشره النساء تقتضي غرس عمود في المكان الذي يوجد فيه من أراد الإعلان عن رغبته في أن تشاركه امرأة فراشه⁵¹. ومن بين العادات التي عرفت عند النساء الليبيات انهن كنّ يلبسنّ في الأرجل عدد كبير من الخلاخل مصنوعة من الجلد، وكل خلخال يمثل إحدى مغامراتهنّ الغرامية، ومن لديها أكبر عدد من الحلقات، عظم شأنها في القبيلة لأن عدد كبير من الرجال أحبواها⁵². ويعتقد هيرودوت أنه ليس هناك قوانين منظمة لطرق الزواج عند الليبيين، فهم يعيشون مختلطين، والأطفال الذين ينجبونهم بطرق غير شرعية، ينتظرونهم حتى يبلغوا سن الرشد، لتجتمع فئة من رجال القبيلة لتحديد من هو أب الطفل، وذلك عن طريق الشبه من أجل خلق واجبات بين الأب وابنه⁵³، ولعل هذه الظاهرة لم تكن شائعة في القبائل الليبية، خاصة هذا الأخير أكد على القيمة الكبيرة التي أعطاها الليبيون لعذرية النساء. فقد أشار إلى العقاب القاسي الذي كان يسلط على الفتيات اللاتي لا يحافظن على عذريتهن، ففي حفلة سنوية تقام عند الأوسس، على شرف الإلهة أثينا، تقوم الفتيات وقد قسمنا إلى مجموعتين بالمشاجرة بواسطة الأحجار والأغصان، ومن تموت منهن متأثرة بجروحها تعتبر مذنبه لأنها لم تحافظ على بكرتها. وكانت تكرم منهن من يتمتع بالشرف والجمال، وتتزوج بنجاح أوقناع كورنيثيا، ويكون لباسها إغريقي ثم تركب فوق عربة تتجول بها حول بحيرة التريطون، وربما يكون هذا أحد الشروط للزواج، والدليل على مدى حرص المجتمع على المحافظة على شرف المرأة⁵⁴. وخاصة وان هذه العادة استمرت عند الليبيين إذ تحدث فيريال كومس على

أن هذه الحفلة التي كان تقام على شرف الإلهة تانيت، لا تزال منتشرة في منطقة فزان، تقام في يوم 27 من شهر رمضان تسمى بحفلة الملح، أين تتزين الفتيات غير المتزوجات قصد إيجاد عريس⁵⁵.

3.7. اللباس:

ذكر هيرودوت أن الليبيين يلبسون مثل المصريين دون تحديد نوع اللباس، وأنهم أخذوا من الإغريق لباس الترساة الدرع الخاص بأثينا، إلا أن لباس الليبيين كان مصنوع من الجلد والحاشية المثبتة على الترساة ولم تكن للثعابين، ولكنها أحزمة أو سيوة. وهذا الشبه يؤكد أن الثوب أصله من الليبيين الذين صنعوه من جلد الماعز المنزوع الشعر والمطرز، والحاشية مصبوغة باللون الأحمر، وحتى الاسم الذي أطلق على الدرع أصله من ليبيا، فمن هذه الإيجيات إستخرج الأغر يق إسم إيجيد أي الدرع، وما يثبت ما قاله هيرودوت عن إستخدام الليبيين لجلود الحيوانات، هي النقوش الصخرية المتواجدة بكثرة خاصة في منطقة التاسيلي، إذ تبين المشاهد الصخرية استخدامهم لجلود الحيوانات المفترسة والأليفة، خاصة جلد الماعز المنزوع الشعر، كونه لا يفسد ويمكن الإحتفاظ به لفترة طويلة ويتميز باللون الأحمر والمطرز، وفي أوقات الحرب كان الليبيون يحمون أجسادهم بجلد النعام⁵⁶.

عموما فلباس الليبيين كان بسيطا من الكتان، على شكل جرس أو مستطيل يلف حول الجسم، يكون مخاط في الأكتاف، ضيق عند الخصر أو عريض يشد بحزام. ونوع آخر من الثياب على شكل معطف، أو ما يشبه البرنوس، مشكل من قطعة واحدة مستطيلة الشكل يغطي كل الجسم، من الأكتاف إلى الركبتين. وظهر القادة الليبيين في رسومات الجدارية المصرية بلباس يكون فيه أحد الأكتاف عاري، كما عرفوا بوضع ريش النعام فوق رؤوسهم، أما النساء كن يلبسن من الداخل ثوب طويل فوقه جلد الماعز، وتزين الرجال والنسوة على حد سواء بحلي من النحاس والجلد حتى في الرجلين مثل الأساور والأقراط والقلائد وعرفوا كذلك الأحجار النصف الثمينة⁵⁷.

4.7. الحلاقة:

أشار هيرودوت إلى أن المكاي كانوا يسرحون شعرهم كعرف الفرس في منتصف الرأس، ويحلقون الباقي حتى يظهر الجلد⁵⁸. في حين ترك الماشيلي شعرهم ينمو خلف الرأس، أما الأوسس فتركوه ينمو إلى الأمام⁵⁹، والماكسس كانوا يتركون شعرهم ينمو على الجهة اليمنى للرأس وحلقوا الجهة اليسرى، كما انهم كانوا يسرحونه على شكل حلقات محاطة بقمة الرأس، ولديهم ظفرات طويلة إما على الجانب، أو بجانب الأذن، أو يحلقون الرأس كله أو مؤخرة الرأس فقط أو الجهة اليسرى أو اليمنى⁶⁰. وتمتعت نساء الأدرماشيد بشعر طويل حرصن على العناية به ونظافته بإزالة الحشرات التي تتواجد فيه كالقمل⁶¹.

ولم يخطئ هيرودوت حين قال أن الليبيون يعتنون بشعرهم، حيث كانوا يقومون بتسريحات متنوعة تظهر بشكل واضح في النقوش الصخرية. كذلك عرف الليبيون ظاهرة طلاء الأجساد بالقرمز كالمماكسس والجزانت، والزويس، كان هذا الطلاء يصنع من المغرة الحمراء، وتعود أصولها هذه العادة إلى فترة الباليولتك والنيوليتك، إذ كانت تستخدم لطلي الجسد أو تزيينه بالرسوم، فقد وجد هذا اللون الأحمر على عظام عثر عليها في مغارات تعود إلى فترة النيولتك. كما جسدت هذه الممارسات المعروفة بالوشم في النقوش الهيروغليفية، فقد انتشرت بين سكان المنطقة، ولا تزال موجودة في بعض مناطق المغرب العربي إلى يومنا هذا⁶². وتزينت النساء كذلك كما سبق وأن ذكرت بوضع حلقات من البرونز حول كل ساق، فنساء الجندان كن يتزين بحلقات من الجلد حول الكاحل، وكلما إزداد عدد الحلقات زادت شهرتهن وجاذبيتهن. وكن أيضا يتزين في الإحتفالات⁶³.

5.7. الصحة:

أكد هيرودوت أن الليبيون هم أكثر الناس صحة من بين كل الرجال⁶⁴، وهذا ما أكده سالوستيوس أيضا عندما أشار إلى أن الليبيون يتمتعون بأجسام صحية يقاومون التعب، وأن العديد منهم يموتون من الشيخوخة ما عدا الذين يموتون على الحديد أو الحيوانات، إذ أنه نادرا ما يموتون بسبب المرض⁶⁵،

وأشار أيضا إلى بعض الممارسات التي من شأنها أن تبعد المرض وتحافظ على الصحة. فالليبيون كانوا ينتظرون بلوغ الأطفال سن الرابعة من العمر، ليقوموا بحرق عروق أعلى رؤوسهم، عروق الصدغ بواسطة صوف الكباش، وذلك للحفاظ على سريان دائم للبلغم وضمانا للصحة الجيدة، ثم يرشون الأطفال ببول التيس لتخفيف الألام بعد إجراء هذه العملية⁶⁶.

8. أقوال هيرودوت حول الليبيين في المجال الديني:

1.1. الألهة:

عبد الليبيون في المقام الأول الشمس والقمر حيث قدموا لها القرابين، فعبادة إله للشمس والقمر كانت سائدة عند كل الليبيين ما عد القاطنين حول بحيرة نهر التريطون، وللتقرب من ألهتهم قاموا بممارسات فريدة من نوعها، إذ كانوا يقومون بقطع أذن حيوان الأضحية ثم يرمونه فوق بيوتهم، وبعدها يدقون عنق الأضحية، أما القبائل الواقعة حول بحيرة تريطون فكانت تقدم القرابين للإلهة أثينا بنت بوسيدون وتريطون⁶⁷، وعندما افترقت عن بوسيدون تبنها زيوس. وتقام على شرفها الاحتفالات لأنها ولدت في ليبيا، ربما هنا أراد هيرودوت أن يشير إلى إلهة ليبية واعطى لها اسم أثينا الإغريقية إلهة الحكمة والحرب، والزواج والنبات، وهذه الألهة عبدت من طرف قبائل الماشيلي، والأوسس كإلهة محلية تقام على شرفها الاحتفالات حول نهر تريتون. بعدها ظهرت عبادة الإله تريطون هو إله ليبي له معبد خاص حسب هيرودوت، فحسب الأسطورة تريطون هو ابن بوسيدون، لذا يمكن اعتباره أيضا إله ليبي خاصة وأن اسم بوسيدون لم يذكر عند أي شعب من الشعوب سوى عند الليبيين الذين ظلوا يعظمونه ويمجدونه، وأن الاغريق إقتبسوه منهم، وكانت تقدم له القرابين من طرف قبائل نهر تريطون. وأشار أيضا إلى وجود وحي الإله أمون عند الليبيين في واحة سيوة، وأن الليبيين المحاذيين لمصر كانوا لا يأكلون لحم البقر إحتراما وتقديسا للإلهة إزيس، إلهة الأمومة والخصب عند المصريين⁶⁸. وخلال مراسيم الطقوس الدينية كانت الليبيات يطلقن أصوات رقيقة وكن يتقنها جيدا وربما كانت هذه الأصوات هو ما يعرف بالزغاريد حاليا⁶⁹.

2.8. عادات الدفن:

مارس الليبيون عادة مختلفة لدفن الموتى، فالناسامون كانوا يدفنون موتاهم وهم جالسون ولا يمددونهم على الظهر، وحسب الحفريات ليس الناسامون فقط من كانوا يدفنون موتاهم بهذه الطريقة، وإنما العديد من الليبيين كانوا يفعلون ذلك⁷⁰. كما أنهم عرفوا بتقديس موتاهم وهذا بالتوجه إلى قبور الطيبين منهم لأداء القسم، ولطلب المشورة. وكانوا يقصدون قبور موتاهم والصلاة هناك والنوم عليها ويعتبرون الأحلام التي تأتيهم هناك بمثابة وحي يجب إتباعها⁷¹.

9. الخاتمة:

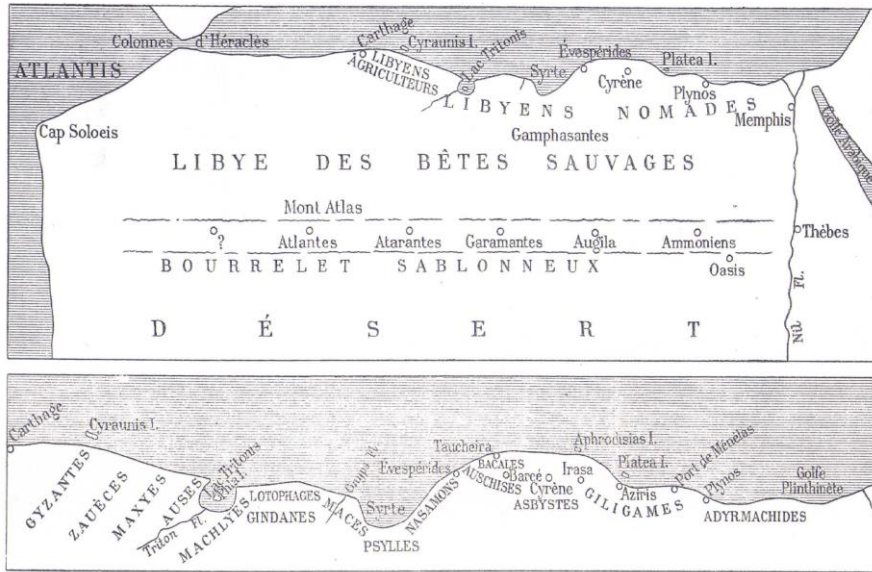
من خلال ما استعرضناه في هذا المقال يمكن القول أن كتاب هيرودوت الموسوم بالتواريخ يعد من أهم المصادر التي يمكن للباحث أن يعتمد عليها في بحثه حول تاريخ الحضارات القديمة ككل، وتاريخ شمال إفريقيا بالخصوص، هذا في ظل ندرة المصادر التي تتحدث عن المنطقة بالإضافة إلى قلة الأبحاث الأثرية فيها، إذ نجد أن هيرودوت قد أسهب في الحديث عن الحياة الاجتماعية للسكان ليبيا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وبين أهم العادات والتقاليد ونمط المعيشة الذي ألفوه في الفترة القديمة، لذا يعتبر كتاب التواريخ من المصادر الرئيسية لكل باحث في تاريخ الليبي القديم.

10. الهوامش:

- 1- Cicéron: Des Lois , Trad. Charles de Rémusat, ed, Hachette, (paris 1881) I, 1, 5, I.
- 2- ويل وايريل ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، تر. محمد بدران، الجزء الثاني، المجلد الثاني، (بيروت تونس) ص ص 328-329. - عبد الاله الملاح: تاريخ هيرودوت، مراجعة احمد السقاف محمد بن صراي، الامارات العربية المتحدة، ابو ظبي المجمع الثقافي، 2001، ص 22. Larcher Pierre Henri : Histoire d'Hérodote trad. du grec avec des notes de Bochart Wesseling Scaliger, Wesseunc, tome premier, ed, charpentier, (paris 1850), p 21.
- 3- الجزء الرابع من كتاب التواريخ يبدأ من غزو ملك الفرس داريوس الأول لبلاد السكيث، ويتحدث عن قارات العالم القديم اسيا اوربا وليبيا، وكذلك هجرة الاغريق الى ليبيا، وإنشائهم لمستوطنة قورينة، بالإضافة الى القبائل الليبية المنتشرة فيها انظر: Larcher Pierre Henri : Op.cit., p21.
- 4- قورينة: اسسها الاغريق سنة 631 ق. م من طرف الثيرانيين، على يد باطوس الأول. للمزيد انظر: فرنسوا شامو، الاغريق في برقة والاسطورة والتاريخ، ترجمة محمد عبد الكريم وافي، الطبعة الاولى، منشورات جامعة قارونس (بنغازي 1990)، ص ص 68- 153.
- 5- Laronde André: Alexandrie et Cyrène. In : Alexandrie : une mégapole cosmopolite. Actes du 9ème colloque de la Villa Kérylos octobre 1998. Paris : Académie des Inscriptions et Belles Lettres, Cahiers de la Villa Kérylos, 9, (1999), p94.
- 6- Godley. D : Herodotus, volumes II, books II and IV, London, wiliam Heinemann, New York G. P.putnam's sons, MCMXXVIII(1928), VIII - XVIII.
- 7- Hérodote : texte relatif à l'histoire ancienne de l'Afrique du nord, trad. Gsell.st, (Alger 1915), pp 8- 47.
- 8- Ibid. IV, 173-187.
- 9- Ibid. IV ,42-43, pp71-75.
- 10- نهر تريتون: شط الجريد بتونس حاليا.
- 11- Hérodote : Op.cit., IV.32, pp 43 -75.
- 12- حول هذه القبائل انظر: عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي، ديوان المطبوعات الجامعية (الجزائر 2003) ص ص 177، 178. وعلي فهمي خشم: نصوص ليبية، أعدها للنشر تامغناست، ص33-34.
- 13- Hérodote: Op.cit., IV, 199-186 و Bates Oric : The eastern Libyans, (an essay) éd, و Macmillan and co limeited, (London1914), pp52-54.
- 14- Hérodote : Op.cit., IV, p, 9.
- 15- Ibid. IV, 168.
- 16- Ibid, p200.
- 17- عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الأول، ص ص87-88.
- 18- Hérodote : Op.cit., IV, 180.
- 19- Ibid. IV, 172.
- 20- Ibid. IV, 170, 183, 189, 193.
- 21- أعشي مصطفى: أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الامازيغ)، المملكة المغربية، المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، مطبعة المعارف الجديدة (الرباط 2009)، ص70.
- 22- Hérodote: Op. cit., IV, 179, pp 114-116, 201.
- 23- Ibid.p159.
- 24- Hérodote : Op.cit., IV, 183.
- 25- Spruytte Jean : Figurations rupestres sahariennes de chars à chevaux, Recherches expérimentales sur les véhicules à timons multiples, par. Antiquités africaines. 22, 1986, p32.
- 26- Hérodote : Op.cit., IV ,175.
- 27- أعشي مصطفى: المرجع السابق، ص47.
- 28- كينيبس: حاليا واد كعام بالجماهيرية الليبية.
- 29- Hérodote : Op.cit., IV ,198.
- 30- Ibid. IV, 172, 181, 183, 195.

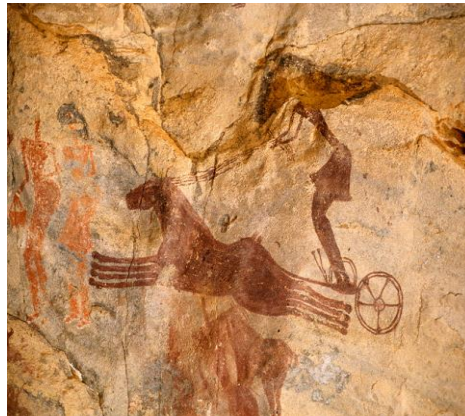
- ³⁰- قابريل كومس: في اصول بلاد البربر ماسينييسا او بدايات التاريخ، ترجمة وتحقيق العربي عقون، (الجزائر 2006)، ص ص77،113.
- ³¹- ابراهيمي. ك: تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنياتي، رشيد بورويبة، الطباعة الشعبية للجيش، (الجزائر 2007)، ص ص118،131 .
- ³²- Hérodote : Op.cit., IV, 172,186-187,189.
- ³³- Homère : odyssee, trad. Eugène Barest, accompagnée de notes, d'explications et de commentaires et précédée d'une introduction, (paris Lavigne, 1842), IV, 77.
- ³⁴- Hérodote : Op.cit., IV ,172.
- ³⁵- Ibid. IV.194.
- ³⁶- Ibid. IV, 178, p96.
- ³⁷- Ibid. IV, 178.
- ³⁸- Ibid. IV, 183.
- ³⁹- Ibid. IV, 186.
- ⁴⁰- Ibid. IV, 184.
- ⁴¹- ابراهيمي. ك: المرجع السابق ص78.
- ⁴²- Camps. G- Morel. J-P: Alimentation des Paléoberbères (temps préhistoriques), Encyclopédie berbère, tome IV, Unisco Edisud la calade, (France juillet 1986), pp 472 -474.
- ⁴³- ابراهيمي. ك: المرجع السابق ص78.
- ⁴⁴- Hérodote : Op.cit., IV ,183.
- ⁴⁵- Ibid. IV, 172.
- ⁴⁶- Ibid. IV, 196.
- ⁴⁷- Ibid. IV, 195.
- ⁴⁸- Ibid. IV, 190,191, p177-179.
- ⁴⁹- Plin l'ancien : histoire naturelle texte établi, traduit et commenté par Jean Beaujeu éd « les belles lettres », paris, 1950, p 211.
- ⁵⁰- Hérodote : Op.cit., IV ,185.
- ⁵¹- Ibid, IV, 190. p177-179.
- ⁵²- Ibid. IV, 172.
- ⁵³- Ibid. IV, 180.
- ⁵⁴- Ibid. IV, 180.
- ⁵⁵- Camps .G : aux origines de la berbèris Massinissa au les débuts l'histoire imprimerie officielles, (Alger 1961), p 22.
- ⁵⁶- Hérodote : op.cit., IV, 189,175, p163-166.
- ⁵⁷- Camps .G. - op.cit., p 107a 109.
- ⁵⁸- Hérodote : op.cit., IV, 175.
- ⁵⁹- Ibid. IV, 180.
- ⁶⁰- Ibid. IV, 191.
- ⁶¹- Ibid. IV, 168.
- ⁶²- Ibid. IV, 191, pp160-166.
- ⁶³- Ibid. IV, 168, 176,180.
- ⁶⁴- Ibid. IV, 187.
- ⁶⁵- Salluste: la guerre de Jugurtha, texte établi et traduit par Alfred Ernout éd, les belles lettres , Paris1941,XVII p,151.
- ⁶⁶- Hérodote : op.cit., IV, 178.
- ⁶⁷- Ibid. IV, 188.
- ⁶⁸- Ibid. pp 158-191.
- ⁶⁹- Ibid. IV, 189.p160.
- ⁷⁰- Ibid. IV, 189, 190, pp181-184.
- ⁷¹- Ibid. IV, 172.

11. الملاحق:
الشكل رقم 1: ليبيا حسب هيرودوت.



Hérodote : texte relatif à l'histoire ancienne de l'Afrique du nord traduit, par, Gsell (st), p 257.

الشكل رقم 2:



Spruytte Jean : Abri de Tamajert (cliché J. Kunz). Figurations rupestres sahariennes de chars à chevaux, Recherches expérimentales sur les véhicules à timons multiples, par. Antiquités africaines. 22, 1986, p32.